

آية اﻻ عيسى قاسم: على أمة الإسلام أن ترفع صوتها أمام الظلم صارخة في وجهه لا لفرعونيتك يا فرعون ولا سجود ولا ركوع إلا اﻻ



أصدر آية اﻻ عيسى قاسم بياناً يدعو الأمة الإسلامية مقارعة ظلم الخوونة من الحكام الذين لا كفاءة لهم، ولا يصح السكوت عن هذا الظلم.

وفيما يلي النص الكامل لبيان آية اﻻ عيسى قاسم:

بسم اﻻ الرحمن الرحيم

الظُّلمُ جُرمَةٌ كبرى يشترك فيها المخطِّطُ له، والأمرُ به، ومُنْفِذُهُ، والراضي به، والقادرُ على نصرة المظلوم، الممتنع عن نصره.

وإذا استُسيغ -أو حَسُنَ- تغاضي الفرد عمَّن ظلمه في بعض الموارد -مع القدرة على مقابلته بما

يُصِحُّ - لحكمةٍ مقبولةٍ، وتسامحٍ حميدٍ؛ فإنَّه لا يجوز التمكين للظلم في المجتمع، ولا التسامح في ردِّه، والتقصير في تطهير الأرض منه، والقضاء على منابعه، والتكاتف، والتآزر على اقتلاع جذوره، ومواجهة مصدره، وطلب أسباب القوَّة التي تقضي على الجور، وتحمي منه، وتدفع احتمال عودته.

ومن أقبح الظلم، وأخطره، وأشدَّه اجتنابًا للعدل، وقضاءً على الأمن، وإرباكًا للحياة، وإعاقةً للنموِّ، وإفقارًا للنِّسَّاس، ونشرًا للفساد، وإشعالًا للفتن، وإضاعةً للحقوق، أن يقيم فردٌ، أو قبيلةٌ، أو حزبٌ من نفسه قيِّمًا على النِّسَّاس، وأمينًا على أنفسهم، وأموالهم، ومصالحهم، ومقدِّساتهم، ومقدِّراتهم، وأمنهم، فيكون السبع الضَّاري عليهم، الذَّاهب لِّلِقمة عيشهم، الخائن لكل أماناته فيهم، وسلاحه في ذلك كله ناتجُ جهدهم وعرقهم وكدهم، ويجعل من نفسه السيِّد المطلق الذي لا يرى في الشعب -الذي يحكمه أو الأمة التي يحكمها- إلا عبيدًا مملوكين لا نصيب لهم من الحريرَِّة، بل يرى من نفسه الإله المطلق الذي يُركع له، ويُسجد، ويُتعبَّد بطاعته، وولائه، والاندكاك أمام عظمته.

وهذا ظلمٌ لا يصحُّ السكوت عنه، وإقراره، ولا تبرأ الذِّمَّة، ولا ينحفظ للنِّسَّاس دين ولا دنيا بلا الإنكار عليه ومقاومته، وبذل كلِّ الجُهد في التخلُّص منه.

على الأمَّة كلِّها أن ترفع صوتها عاليًا أمام هذا الظُّلم أيَّما كان، صارخةً في وجهه لا لظلمك، لا لفرعونيتك يا فرعون، ولا لسجود، ولا ركوع إلا .

ومن أولى من أمَّة التوحيد وشعوبها بهذا الذِّداء وبهذه الصرخة، والصِّدق فيها، والثِّبات عليها؟!

وهي الأمَّة التي يقول قرآنها الذي آمنت به: [وَإِلَّا هُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ] [البقرة: 258] ولمَّا كان لا هدى إلا من الله؛ فالظالم وهو لا هدى له منه سبحانه، وقد حرَّم نفسه من هداه بإفساد قلبه، أعمى فاقد للبصيرة، وهل تُسلم أمَّةٌ قيادتها بيد أعمى يأخذ بها إلى المهالك؟!

[وَإِلَّا هُ لا يُجِبُّ الظَّالِمِينَ] [آل عمران: 57]، وهل من العقل، والمصلحة أن تستسلم أمَّةٌ تؤمن بالله، وأنَّه لا خير إلا من عنده، وأنَّ حِبَّه شهادة السمويِّ والنَّجَّاح، وبغضه شهادة السقوط والخسار لإرادة أيِّ كان، ولو كان ظالمًا مبعوضًا، منبوذًا من قِبَله سبحانه؟!

فَتَلَاكَ بِيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ
* وَأَنْزَجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ [النمل: 52-53].

وأمّةٌ ترضى بالظُّلم وتقرُّه، ولا تُدافعه، وهي قادرة على مدافعته ومناهضته، أو تملك السعي إلى
تحصيل القدرة على مواجهته شريكة في الظلم؛ والظُّلم هدّامٌ للنّفوس، وهدّامٌ للمجتمعات
والحضارات، وكلٌّ بناءٌ مجيدٌ.

الظُّلم محرقةٌ إنسانيّة الإنسان، وكلُّ الأوضاع الإيجابية للحياة.

أمّةٌ القرآن، أمّةٌ العدل، المناهضة للظُّلم، الثائرة عليه، الأمّةُ المأخوذُ عليها - بمقتضى
إيمانها باٍ وعدله وشريعته - أن تجتثَّ الظُّلم اجتثاثًا، ولا تبقى له أثرًا، ما وجدتْ إلى ذلك
سبيلًا أو أمكن لها أن تجد الطريق إلى القوّة التي تُحقّق لها هذا الهدف العظيم.

الأمّةُ المستجيبةٌ لسنة رسولٍ وأهل بيته الأطهار.. السنة التي هذا من قولها، عن(صلى اٍ
عليه وآله): (مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى جَبْهَتِهِ مَكْتُوبٌ: آيِسُ
مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ). [ميزان الحكمة ج2: 1779].

وعن الإمام الصادق(عليه السلام): (العامل لظلم والمُعِين له والراضِي به شركاء ثلاثهم).
[الكافي ج2: 333].

وعنه(عليه السلام) لمّا سئل عن عون الظالم للضيق والشدة: (مَا أُحْرِبُ أَنْ نَرِي عَقَدَتُ لَهُمْ
عُقْدَةً، أَوْ وَكَدَيْتُ لَهُمْ وَكَاءً، وَإِنَّ لِي مَا بَيْنَ اللَّابِتَيْهَاتِ، لَا، وَلَا مَدَدَةٌ
بِقَلَامٍ؛ إِنَّ أَءِوَانَ الظَّالِمَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي سُرَادِقٍ مِنْ نَارٍ حَتَّى
يَحْكُمَ اٍ بَيْنَ الْعَبِيدِ). [الكافي- ط دار الحديث ج9: 624].

وعن الإمام الرضا(عليه السلام): (مَنْ أَعَانَ ظَالِمًا فَهُوَ ظَالِمٌ، وَمَنْ خَذَلَ ظَالِمًا فَهُوَ عَادِلٌ).
[ميزان الحكمة ج2: 1779].

وعن مناهضة الظُّلم نقرأ الحديث عن الرسول(صلى اٍ عليه وآله): (مَنْ أَخَذَ لِلظَّالِمِ يَوْمَ
الظُّلْمِ كَانَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ مُصَاحِبًا). [ميزان الحكمة ج2: 1780] وعن الإمام عليٍّ(عليه

السَّلام): (أحْسَنُ الْعَدَلِ زُمْرَةُ الْمُظْلَمِينَ). [مِيزَانُ الْحِكْمَةِ ج2: 1780]

هذه الأمة وحتى تنسجم مع هويتها لا يكون لظلم استقرار فيها، ولا لظالم إقامة على ظلمه من بينها.

لا بدّ لأمة الإسلام حتى لا تنقلب عن وظيفتها، ولا تتناقض مع إسلامها، ولا تدخل في عداوة ربّها من أنّ تنكر المنكر، ولا تساعد عليه، وتأمّر بالمعروف، وتصرّ عليه، وتنصر المظلوم على الظالم، وتشيرّد الحقّ، وتهدم الباطل، وتقتلع من الأرض جذور الفساد.

لا يسعُ هذه الأمة أن تذللّ، ولا يسمح لها دينها أن تضعف، أو تصير على الاستضعاف. إنّها أمة الحقّ والقوّة والنهضة والعزّ والمجد والشموخ.

إلى العمل.. إلى القوّة.. إلى النهوض.. إلى المقاومة.. إلى الجهاد.. إلى الحركة الصاعدة، إلى المعرفة.. إلى البناء.. إلى الازدهار.

لا فتور.. لا سيّات.. لا فعود، لا استسلام.. لا خوف.. لا ركود.. لا خنوع.. لا عبوديّة إلاّ.

لا للظلم من الخارج.. لا للظلم من الداخل.. لا للظلم من النفس.. لا شيء إلاّ الحقّ.. لا شيء إلاّ العدل.

لا تراجع.. وإنّما سيرٌ دائمٌ للأمام، وعلى طريق الحقّ والعدل العزّة والبرّسؤوليّة واللامؤمّنين. [المنافقون:8]

عيسى أحمد قاسم

٢٤ يوليو ٢٠١٩م